دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	السبيل في ضوء القرآن الكريم : دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	عبدالله، رهام محمد شعبان
مؤلفين آخرين:	عنبر، محمود هاشم محمود(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2015
موقع:	غزة
الصفحات:	1 - 210
رقم MD:	694503
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الإسلامية (غزة)
الكلية:	كلية اصول الدين
الدولة:	فلسطين
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، السور و الآيات ، التفسير، الخير و الشر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/694503

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الثّالث

أسباب الإضلال وأسباب الهداية

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ

المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ

المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ

وفيه اثنا عشر مطلبًا:

المطلب الأوّل: الكفر بعد الإيمان.

المطلب الثّاني: اتخاذ الأنداد.

المطلب الثّالث: تزيين الشيطان للأعمال.

المطلب الرّابع: اتّباع الهوى.

المطلب الخامس: اتّباع السّبل.

المطلب السّادس: موالاة الأعداء.

المطلب السّابع: طاعة السّادة والكبراء.

المطلب الثّامن: شراء الضلالة ولهو الحديث.

المطلب التّاسع: اتّباع غير سبيل المؤمنين.

المطلب العاشر: الزنا ومقدماته.

المطلب الحادي عشر: كراهية الجهاد بالمال والنفس.

المطلب الثّاني عشر: ظلم النّاس.

المبحث الأوّل: أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ

تتعدَّدُ أسباب الإضلال عن سبيل الحقّ وتتّسع دائرتها في السّياق القرآني لتشمل الكفر بعد الإيمان، واتّخاذ الأنداد، وتزيين الشّيطان للأعمال، واتّباع الهوى والسّبل المتفرّقة، وموالاة الأعداء، وطاعة السّادة وشراء الضّلالة، واتّباع غير سبيل المؤمنين، وكذلك الوقوع في الزنى وكراهية الجهاد وظلم النّاس، وستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: الكفر بعد الإيمان.

يعدُّ الإيمان بالله تعالى هو أساس التّوحيد وأساس الدّين، فمن آمن فله من النّعيم والخيرات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن هنالك صنف من النّاس ينافق بالإيمان إمّا لقوّة أهل الإسلام وخشيته منهم، وإمّا لمصلحة يريدها من هذا النّفاق كالتجسس على المسلمين وغيرها، وهناك صنف من النّاس كذلك يؤمن ويتذوق حلاوة الإيمان، ولكن لمنفعة دنيوية زائلة يكفر ويرتد عن الإسلام، فهذا الصّنف من النّاس قد ذمّه تعالى في كتابه العزيز، إذ كثر في بني اسرائيل كفرهم بعد إيمانهم وبعد رؤية المعجزات، فيقول –ﷻ– في كتابه العزيز: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ (المائدة:12).

هذه الآية الكريمة تعليم من الله تعالى لهذه الأمة وإنباء منه أنّه قد أخذ العهود والمواثيق على الأمم السالفة، ثمَّ أعلمهم بما أعدَّ لهم من الثّواب إن أوفوا بتلك العهود والمواثيق التّي أخذت عليهم، وبما أعدَّ لهم من العقاب إن نقضوا العهود التّي أخذ عليهم ليكونوا على حذر من نقضها، وليقيموا على وفائها [1].

(1)انظر: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" – للبيضاوي (119/2)، "التفسير الميسر" – لنخبة من أساتذة التفسير (109/1).

"وإنّه إنّما ذكر ما أخذ على أولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك آية من آيات رسالة سيدنا محمد –ﷺ– لأنّه إخبار عن الأمم السالفة وهو لم يشاهدها ولا حضرها، ليعلموا أنّه إنّما علم ذلك من الله"[1].

فهو سبحانه أخذ العهد والميثاق على بني إسرائيل بواسطة نبيّهم موسى –عليه السلام– ليعملُنّ بالتوراة التّي فيها شريعتهم التّي اختارها الله لهم وليقبلُنّها بجدٍّ ونشاط، وكذلك أمره الله تعالى أن يختار اثني عشر نقيبًا منهم، ويأخذ من كل سبط نقيبًا يكون كفيلًا بتنفيذ ما أُمروا به، وبعد هذا قال الله لموسى –عليه السلام– أن يقول لقومه إنّ الله معهم وناصرهم وحافظهم ومعينهم ومطّلع عليهم ومجازيهم على أعمالهم، وعاهدهم الله بالعهد الإلهي الشّامل ومضمونه: لئن أقمتم الصّلاة وأدّيتموها على الوجه الأكمل وأعطيتم زكاة أموالكم التّي تَزكو بها نفوسكم وتطهر، وآمنتم برسلي التّي سترسل لكم بعد موسى –عليه السلام– فصدقتموهم فيما يجيئونكم به من الوحي مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد –عليهم السّلام–، ونصرتموهم وآزرتموهم على الحقّ ومنعتموهم من الأعداء وأنفقتم في سبيل الله وابتغاء مرضاته زيادة على ما أوجبه عليكم بالزكاة[2].

فلئن فعلتم كل هذا لأكفّرنّ عنكم سيّئاتكم وأستر ذنوبكم وأمحوها ولا أؤاخذكم بها ولأدخلنّكم جنّات تجري من تحتها الأنهار وأدفع عنكم المحذور وأحصل لكم المقصود.

فمن جحد منكم شيئًا مما أمرته به وخالف هذا الميثاق بعد عقده وتوكيده فقد أخطأ الطّريق الواضح المستقيم الذي هو الدّين الذي شرعه الله تعالى لكم والذي رسمه الله تعالى لعباده الأبرار، وعدل عن الهدى إلى الضلال، فهو قد ضل ضلالًا لا شبهة فيه ولا عذر معه [3].

ومن الآيات التّي تبيّن أنّ هؤلاء الكافرين بعد إيمانهم سيكون جزاؤهم وحسابهم عسيرًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِّينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾(النساء:137).

---

(1)"تأويلات أهل السنة" – للماتريدي(479/3)

(2)انظر: "التفسير المنير" – للزحيلي (125/6).

(3)انظر: "التفسير الواضح" – لمحمد محمود حجازي (492/1).

في هذه الآية الكريمة بيّن -ﷻ- حال الذّين يتكرّر منهم الكفر بعد الإيمان مرّات وكرّات، فإن ذلك يدلّ على أنّه لا وقع للإيمان في قلوبهم، إذ لو للإيمان وقع في قلوبهم لما تركوه لأدنى سبب، ومن لا يكون للإيمان وقع في قلبه فالظّاهر أنّه لا يؤمن بالله إيمانًا صحيحًا معتبرًا [1].

ويقول الإمام ابن كثير: "يخبر الله تعالى عمّن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمرّ على ضلاله وازداد حتّى مات، فإنّه لا توبة بعد موته ولا يغفر له، ولا يجعل له ممّا هو فيه مخرجًا ولا فرجًا ولا طريقًا إلى الهدى" [2].

وهذا يؤدّي إلى أن يكون الكلام في طائفتين إحداهما اليهود والأخرى النصارى، وهذا النّص أيضًا في مرضى القلوب والمنافقين الذّين اضطربت عقائدهم فهم يؤمنون أوّل النّهار ويكفرون آخره فيعتريهم قبس الإيمان فيهتدون حينًا فيؤمنون، ثم تعتريهم ظلمة نفوسهم فيكفرون ثم لا يزالون يتردّدون حتّى تنطفيء قبسات النّور من قلوبهم وبذلك يزدادون كفرًا، وذلك وصف دقيق للمترددين الحائرين يبتدئون بحيرة مضطربة بين النور والظلمة، ثمّ يوغلون في الظلام إيغالًا، وأولئك الذّين يترددون ذلك التردد ثم ينتهون إلى تلك النهاية الموغلة في الكفر لا تنالهم المغفرة فينفي سبحانه نفيًا مؤكدًا للغفران والهداية معًا، فالله لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلًا مستقيمًا بل هم في حيرة مستمرة [3].

ويقول أبو زهرة: "وبعد أن بيّن سبحانه حقيقة الإيمان لم يكن من حكمته وعلمه وكمال تدبيره أن يغفر لهؤلاء ولا أن يَهديَهم سبيلًا، والسّبب في ذلك أنّه لا تُتصوّر منهم التّوبة والرّجوع إلى الحقّ والإنابة إلى الله حتّى تكون منهم التّوبة النّصوح التّي تجبّ ما قبلها من الذنوب، إذ إنّ التوبة تكون لمن يقع في الذنب عن جهالة ثم يتوب قبل أن يوغل في الشّر ويفقد معه كل عناصر الخير، وكذلك لا يهديهم سبيلًا لأنّ الهداية تكون لمن لم يظلم قلبه ولمن أراد الهداية، وهؤلاء لا يريدونها فنفى الغفران ونفى الهداية بسبب أنهم أُركسوا في الشر وأحاطت بهم خطيئاتهم" [4].

---

(1)انظر: "جامع البيان" – للطبري (314/9).

(2)"تفسير القرآن العظيم" – (566/1).

(3)انظر: "تفسير القرآن" – للسمعاني (490/1)، "تفسير الراغب الأصفهاني" – للأصفهاني (196/4).

(4) "زهرة التفاسير" – (1906/4).

بعد استعراض هذه الآية الكريمة يتبين للباحثة أنّ من يكفر بعد إيمانه يستحقّ العذاب الأليم والخلود في نار جهنّم جزاء من الله –ﷻ– وأنّ الكفر بعد الإيمان من أسباب الإضلال عن السّبيل الحقّ.

المطلب الثّاني: اتّخاذ الأنداد.

إنّ اتخاذ الأنداد وعبادتها وترك عبادة الله تعالى يعدُّ من الإشراك به، وبذلك يضلُّ الإنسان عن طريق الهداية ويحيد عنه ويتّبع طريق الغواية وطريق الشّيطان، ومن الآيات التّي تبين جزاء المتّخذين مع الله أندادًا قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾ (إبراهيم:30).

في هذه الآية يبيّن سبحانه لونًا من ألوان أعمال الكفّار القبيحة وعقائدهم الباطلة، فهؤلاء الخاسرين جعلوا لله تعالى أمثالًا ونظراء ليصرفوا غيرهم عن الطّريق الحقّ والصراط المستقيم الذي هو إخلاص العبادة لله وحده.

وسبب جعلهم لله أندادًا ليستمروا في ضلالهم، فإنّهم حين جعلوا الأنداد لله تعالى كانوا ضالّين وجهلوا ذلك فاستمروا في ضلالهم توهمًا منهم أنّهم على صواب، فالضّلال والإضلال كان نتيجة اتّخاذ الأنداد [1].

وبعد ذلك يأمر الله تعالى نبيه محمدًا –ﷺ– بأن يهديهم ويقول لهؤلاء الخاسرين تمتّعوا بما شئتم التّمتّع به من شهوات ولذائذ، فإن مصيركم إلى النّار لا محالة [2].

ويقول طنطاوي: "ولمّا كان هذا حالهم وقد صاروا لفرط تهالكهم عليه لا يقلعون عنه، جعل سبحانه الأمر بمباشرته مكان النّهي عن قربانه إيضاحًا لما تكون عليه عاقبتهم وأنّهم لا محالة صائرون إلى النار" [3].

---

(1)انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي (365/9).

(2)انظر: "مفاتح الغيب" – للرازي (95/19).

(3)"الوسيط" – (557/7).

وكذلك من الآيات التّي تبيّن أنّ اتخاذ الأنداد سبب من أسباب الإضلال عن السّبيل الحقّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَا رَبّه مُنِيبًا إليه ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إليه مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر:8).

في هذه الآية بيّن سبحانه حال الإنسان حيث أنّه إذا نزل به ضر من مرض أو غيره من المكاره أسرع إلى الله تعالى بالدعاء والإنابة والتّضرّع وترك الآلهة التّي كان يدعوها في حالة الرّخاء، كما قال تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إليه إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:41)، وبعد ذلك يبيّن سبحانه حال ذلك الإنسان بعد أن كشف الله تعالى عنه الضُّر، فإذا ما كشفنا عنه ضرّه أعطيناه نعمًا عظيمة على سبيل التفضل منا نسي الضر الذي كان يتضرع إلينا من قبل لِنُزيله عنه ونسي الخالق –ﷻ– الذي كشف بقدرته ذلك الضُّر [1].

" وهذا موقف متناقض من الكفّار، فإذا أصاب الكافر شدّة... تَضرَّعَ راجعًا إليه منيبًا مستغيثًا به في تفريج كربته وكشف ما نزل به، ثم إذا منحه نعمة أو أعطاه وملّكه وصار في حال رخاء ورفاهية نسي ذلك الدعاء والتّضرّع ونسي ربّه الذي كان يدعوه من قبل"[2].

ولم يكتف بهذا النسيان بل جعل لله تعالى أندادًا وأمثالًا وأشباهًا ونظائر يعبدها من دونه ليصير وتكون نتيجته وعاقبته الضّلال والإضلال، يُضِلُّ نفسه ويُضِلُّ الناس بعمله هذا، ويمنعه من توحيد الله والدخول في الإسلام، فسبيل الله: الإسلام والتوحيد، والأنداد: الأوثان والأصنام، ويختم –ﷻ– الآية ببيان سوء عاقبة هذا الإنسان المشرك، ويقول: قل أيّها الرّسول الكريم لهذا الإنسان الذي جعل لله شريكًا في العبادة تمتع بكفرك تمتعًا قليلًا وزمانًا قليلًا، فمتاع الدّنيا قليل، إنّك من أصحاب النّار الملازمين لها والخالدين فيها أبدًا ومصيرك إليها قريب [3].

---

(1)انظر: "جامع البيان" – للطبري (263/21).

(2)"التفسير المنير" – للزحيلي (258/23).

(3)انظر: "معاني القرآن" – للزّجّاج (346/4)، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثعلبي (223/8).

هذا جزاء الكافرين المتّخذين مع الله أندادًا، جزاؤهم العذاب الأليم في نار جهنّم جزاء ما كانوا يفعلون ويكفرون بالله، فهم اتّبعوا طريق الشيطان والضّلالة والغواية، فما كان جزاؤهم إلا النّار وكفى به من جزاء.

المطلب الثّالث: تزيين الشيطان للأعمال.

يزيّن الشيطان للإنسان الشّرك والمعاصي بجميع أحوالها وصفاتها، فالشّيطان يُظهر للإنسان الباطل في صورة الحقّ، والحقّ في صورة الباطل، ويزيّن لهم المعاصي والأعمال المنكرة والمحرمة التّي تخالف ما أمرهم به الله وما أمرهم به أنبياؤهم فصدّهم عن الهداية، وأقفل نور البصيرة لديهم فأصبحوا بطاعتهم للشّيطان من الخاسرين، ومن الآيات التّي تدل على أن تزيين الشيطان للأعمال من أسباب الإضلال عن السّبيل الحقّ قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾ (النمل:24,23).

في هذه الآية الكريمة يحكي سبحانه عن قوم سبأ وملكتهم التّي كانت ومعها قومها يتركون عبادة الله تعالى ويعبدون الشمس التّي هي من مخلوقاته –ﷻ–، فعبادتهم لها دليل على فساد تفكيرهم واستجابة لدعاة السّوء بينهم وذلك باستيلاء الشيطان على قلوبهم فزيّن أعمال السوء وحسّنها لهم حتّى ظنّوا أنّها الخير وحدها وأن ما عداها باطل، وهم أيضا قد مكّنوا الشيطان من أنفسهم فصدّهم عن السّبيل القويم وجعلهم يسلكون طريق الكفر والفسوق، فلذلك لا يهتدون إلى عبادة الله تعالى الذي لا معبود بحق سواه [1].

وكذلك من الآيات التّي تتحدّث حول نفس المعنى قوله تعالى: ﴿**وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**﴾ (العنكبوت:38).

في هذه الآية يذكر سبحانه قوم عاد وثمود الذّين أهلكهم الله فيقول: وأهلكنا عادًا قوم هود –عليه السلام–، وكانوا يسكنون بلاد الأحقاف وهي قريبة من بلاد اليمن، وثمود قوم صالح وكانوا يسكنون

(1)انظر: "تفسير المراغي" – للمراغي (130/19)، "الموسوعة القرآنية" – لإبراهيم الأبياري (460/10)، "تفسير الشعراوي" – للشعراوي (1773/17).

الحجر قريبًا من واد القرى مع ما كانوا عليه من العتوّ والتّكبر، وكانت العرب تعرف مساكنهم معرفة تامة وتمر عليهم كثيرًا وترى ما حل بهم، وما سبب ما جرى عليهم إلا أن زيّن لهم الشيطان أعمالهم من عبادة غير الله، وتكذيب الرّسل وقد جاءتهم بالآيات البينات المفيدة للبصيرة فكذّبوهم وجادلوهم، وصدهم الشيطان عن الطّريق السويّ الذي يوصلهم إلى النجاة، وقد كانوا متمكّنين من النظر والاستبصار فلم يكن لهم عذر في الغفلة وعدم التّدبّر في العواقب [1].

ويقول ابن القيّم في سياق حديثه عن مكائد الشيطان: "وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنّه يجري منه مجرى الدّم حتّى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عمّا تحبّه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك على إخوانه وأوليائه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم البعض أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبّونه ويهوونه، فإنّه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه" [2].

هذا ما يفعله الشّيطان ببني آدم، فقد زيّن لهم أعمالهم وحسّنها في أعينهم وحبّبها إلى قلوبهم، ولا يزال يحسّن للإنسان الباطل ويكرّهه بالحقّ حتّى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحقّ، فيزيّن المنكر حتّى يصبح معروفًا، ويزيّن المعصية حتّى يغري النّاس بها وينغمسوا في حبّها، لأنّ المعاصي كلّما إزداد الإنسان فيها شربًا، كلّما ازداد لها عطشًا، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:39).

(1)انظر: "فتح القدير" – للشوكاني (234/4)، "محاسن التأويل" – للقاسمي (555/7)، "تيسير الكريم الرّحمن" – للسعدي (630/1).

(2)"إغاثة اللهفان" – (112/1).

المطلب الرّابع: اتّباع الهوى.

إنّ اتّباع الإنسان لهواه وترك ما أمر الله به وما أرسل به رسله الكرام من الأمور التّي تودي بالإنسان إلى سبيل الضّلال والغواية، فهو يُضلّ نفسه ويضلّ غيره، فيبوء بإثمه وإثم غيره باتّباعه لهواه، واتّباع غيره له، وقد ذمّ تعالى المتّبعين لهواهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحقّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (المائدة:77).

في هذه الآية يرشد سبحانه أهل الكتاب إلى طريق الحقّ وينهاهم عن الغلوّ الباطل، فأهل الكتاب قد غالوا في شأن عيسى –عليه السلام–، وأمّا اليهود فقد كفروا به ونسبوه إلى الزنى وافتروا عليه وعلى أمّه افتراءً شديدًا، وأمّا النّصارى فقد وصفوه بالألوهية فوضعوه في غير موضعه الذي وضعه الله فيه وهو منصب الرسالة، وكما غالوا في شأن عيسى –عليه السلام– فقد غالوا أيضا في تمسّكهم في عقائدهم الزائفة مع أن الدّلائل الواضحة قد دلّت على بطلانها وفسادها، فيقول سبحانه لنبيه –ﷺ– : قل يا محمّد لأهل الكتاب الذّين تجاوزوا الحدود التّي تقرّها الشرائع والعقول السليمة لا تتجاوزوا حدود الله تجاوزًا باطلًا كأن تعبدوا سواه مع أنّه هو الذي خلقكم ورزقكم [1].

فهو سبحانه ينهى أهل الكتاب عن الاستمرار في الاتّباع لقوم قد ثبت ضلالهم قديمًا، وكانوا من قبل في ضلال بعيد وهم عبدة الأوثان ومن كان على شاكلتهم ممن اخترعوا آلهة على هواهم لا على منطق استقاموا عليه، ولا على نور من السماء اهتدوا بهديه وقد سلكوا مسلكهم فأدخلوا الوثنية في دينهم واتبعوا فلسفة ضالة مضلّة [2].

"وهؤلاء الذّين اتّبعوا أهواءهم وضلّوا بسبب ذلك وأضلوا خلقًا كثيرًا حتّى شاع بينهم الانحراف عن الطّريق، فكانت وثنية اليونان والرومان والفلاسفة هي التّي أضلت خلقًا كثيرًا، فالضّلال الأوّل هو ضلال الوثنية من قبل، وهي التّي أضلّت النصارى، والضّلال الأخير هو عدم خضوعهم لحكم النّبي

(1)انظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل" – للخازن (67/2)، "الدر المصون في علوم الكتاب المكون" – للسمين الحلبي (380/4).

(2)انظر: "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (159/3)، "اللباب في علوم الكتاب" – لأبي حفص النعماني (466/7).

-ﷺ- وتركهم سبيل المؤمنين الذي كان فيه القصد والاعتدال، فتأثُّرهم بأهواء من ضلّوا من قبل وأضلّوا جعلهم يأخذون طريق الضلال الأخير وهو عدم الأخذ بهداية الرّسول -ﷺ-"[1].

وقد بيّن الله-ﷻ- عقوبة الإضلال عن السّبيل الحقّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص:26).

في هذه الآية الكريمة يخاطب سبحانه داود -عليه السلام- بأنّه استخلفه حاكمًا بين الناس في الأرض فله السلطة والحكم وعليهم السمع والطاعة.

ويبين سبحانه لداود -عليه السلام- قواعد الحكم تعليمًا لغيره من الناس: وهي أن يقضيَ بين النّاس بالعدل الذي قامت به السماوات والأرض وهذه أُولى وأهمّ قواعد الحكم، ويأمره تعالى ألا يتّبع الهوى، فلا يُملِ في الحكم مع أهواء نفسه أو بسبب مطامع الدّنيا، فإن اتّباع الهوى مزلفة ومدعاة إلى النار وهو سبب في الوقوع في الضلال والانحراف عن جادّة الحقّ وما عاقبته إلا الخذلان [2].

ويبيّن سبحانه أن الذّين يتنكّبون طريق الحقّ والعدل لهم عقاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم أهوال ذلك اليوم وما فيه من حساب دقيق لكل إنسان وبسبب تركهم العمل لذلك اليوم ومنه القضاء بالعدل [3].

"فالآية وصيّة من الله -ﷻ- لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحقّ ولا يحيدوا عنه فيضلّوا عن سبيل الله، وقد توعد الله تعالى من ضلّ عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والحساب الشّديد" [4].

---

(1)"زهرة التفاسير" - لأبي زهرة (2317/5).

(2)انظر: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" - للنسفي (152/3)، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" - للبقاعي (368/16).

(3)انظر:"الدر المنثور في التفسير بالمأثور" - للسيوطي (170/7).

(4)"التفسير المنير" للزحيلي (122/23).

نعم إنّ اتّباع الهوى لا يعود على الإنسان إلا بإضلال سواء السّبيل، وكذلك الحساب الشّديد يوم القيامة والعذاب في نار جهنّم وبئس المصير، فالأحرى بالإنسان أن يعمل عقله ويوجّهه لما ينفعه في دينه ودنياه، وأن يتّبع ما أمره الله به، وأن ينتهي عمّا نهاه عنه، فيفوز بالجنّة التّي وعد الله بها عباده المخلصين.

المطلب الخامس: اتّباع السّبل.

إنّ اتّباع سبل الشّيطان المتعدّدة الفروع والجهات وترك سبيل الله المستقيم من الأسباب التّي توصل الإنسان إلى ضلال الطّريق القويم، وتجعله يهوي في سبل مذمومة لا نهاية لها إلا غضب الله وسخطه وعذابه، وقد حذّر تعالى من اتّباع سبل الشّيطان والحياد عن سبيله المستقيم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السّبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:153).

في هذه الآية يبيّن سبحانه أنّ صراطه المستقيم يدخل فيه كل ما بيّنه الرّسول –ﷺ– من دين الإسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم، ويأمر المؤمنين بأن يتّبعوا جملته وتفصيله وأن لا يعدلوا عنه فيقعوا في الضّلال.

فاتّباع السّبل الضالّة يكون بعدم الالتزام بأوامر الله ونواهيه التّي هي شريعته وهي صراطه المستقيم الذي دعا الله عباده إلى الاستقامة عليه، فمن عَدَلَ عن صراط الله المستقيم واتّبع السّبل المنحرفة فقد ضَلَّ وغوى وكان من الهالكين [1].

يقول عبد الكريم يونس الخطيب:

"والتّعبير عن الطّرق الخارجة عنه بالسّبل إشارة إلى أن طريق الله طريق مُعَدٌّ ومهيؤٌ للسّالكين تقوم عليه منارات الهدى وإشارات الهداية، أمّا هذه السّبل التّي لا تستقيم على هذا الصّراط فهي طرق لا معلم لها ولا إشارة عليها يركبها الرّاكب فيتخبّط ويتعثّر ويضلُّ، ولهذا جاء التّعبير عن صراط الله بلفظ

(1)انظر: "زاد المسير في علم التفسير" – للجوزي (93/2)، "مفاتح الغيب" – للرازي (186/14)، "التحرير والتنوير" – لابن عاشور (175/8).

المفرد لأنّه واحدٌ لا غير، إذ الحقّ حقٌّ وجهه واحدٌ وطريقه واحدٌ، وأمّا الباطل فهو أباطيل متعدد الوجوه مختلف السّبل" [1].

فإذا اتّبع السالك طريق الله وجعل رجاءه التّقوى فقد صار من المتّقين الذّين وصفهم الله تعالى بهذه الصّفة.

بعد هذا نرى أنّه تعالى قد حذّر من اتّباع السّبل الضالّة المضلّة، وأمر عباده المؤمنين بتقواه في السّرّ والعلن ليحفظهم من كيد الشّيطان وغوايته فلا يجعل له عليهم سبيلًا.

المطلب السّادس: موالاة الأعداء.

أمر الله تعالى المؤمنين المخلصين له ولعبادته أن يتّبعوا أوامره وينتهوا بنهيه، فمن والى أعداء الله ورسوله والمؤمنين فقد عصى أمر ربّه وحاد عن طريقه المستقيم، واتّبع طريق الكافرين طريق الغواية والضّلال، فموالاة الأعداء ونصرتهم من غير إكراه هي أشدّ أنواع الأذى للمؤمنين، وقد نهى تعالى عن موالاة الأعداء في قوله: ﴿يَا أَيُّها الذّين آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الحقّ يُخْرِجُونَ الرّسول وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السّبيل﴾ (الممتحنة:1).

في هذه الآية يخاطب الله تعالى المؤمنين ويقول لهم: بمقتضى اتّصافكم بالإيمان بالله وبوحدة ذاته وكمالات أسمائه وصفاته فلا تتخذوا أعدائه وهم الذّين خرجوا عن عروة عبودتي بإثبات الوجود لغيري، فلا تتخذوهم أنصارًا وأصدقاءً وأعوانًا لكم توصلون إليهم أخبار النبي -ﷺ- بسبب المودة التّي بينكم وبينهم، فلا توالوهم بأي وجه من الوجوه، ونظير الآية قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّها الذّين آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ... ﴾ (المائدة:51)، وقوله تعالى:﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:28) [2].

---

(1)"التفسير القرآني للقرآن" – (348/4).

(2)انظر: "زاد المسير في علم التفسير" – للجوزي (267/4)، "غيث الأماني في تفسير الكلام الرباني" – للكوراني (142/1)، "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (405/2).

يقول الزّحيلي: "والآية تتضمّن تهديدًا شديدًا ووعيدًا أكيدًا، وسبب النهي هنا أمران: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الحقّ يُخْرِجُونَ الرّسول وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾، أي أنّهم كفروا بالله تعالى والرّسول -ﷺ- وما جاءكم من القرآن والهداية الإلهية وأخرجوا الرّسول -ﷺ- والمؤمنين من مكة من أجل إيمانهم بالله وإخلاص عبادتهم لله تعالى كما جاء في آية أخرى: ﴿الذين أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج:40)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج:8)"[1].

وبعد ذلك يحرّض -ﷻ- على الامتناع عن الموالاة ويقول لهم لا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين رضواني عنكم ولا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقًا عليكم وسخطًا لدينكم فلا تُسِرُّوا إليهم بالأخبار وخطط النبي -ﷺ- والمؤمنين بسبب المودّة وتفعلون ذلك وأنا العالم بالسّرائر والضّمائر والظّواهر والأعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون.

وبعد كل ذلك من يوال الأعداء منكم فقد أخطأ طريق الحقّ والصّواب وحاد عن قصد السّبيل التّي توصل إلى الجنّة والرّضوان الإلهي [2].

ها هو جزاء الموالين لأعداء الله ورسوله -ﷺ- والمؤمنين، فقد حذّرهم الله وأمرهم بعدم موالاة غيره وغير المؤمنين، ولكنّهم عصوا أمر الله وأمر رسوله -ﷺ-، فما كان جزاؤهم إلا أن حرموا مغفرة الله ورضوانه وجنانه.

المطلب السّابع: طاعة السّادة والكبراء.

إنّ طاعة السّادة والكبراء العادّين أنفسهم أنّهم أحكم الناس وأفقههم وما هم إلا عباد للشيطان ومتّبعين لأمره لهي من الأسباب المؤدية إلى ضلال سواء السّبيل، فاتّباعهم هو الشّر بعينه، فمن رضي لنفسه أن يُعطّل عقله عن التفكير وأن يتّبع أفكار غيره بخيرها وشرها فقد استحقّ العذاب الأليم،

(1)"التفسير المنير" – (121/28).

(2)انظر: "تفسير القرآن" – للعز بن عبد السّلام (307/3)، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (236/8).

وقد ذكر تعالى هذا الصّنف من النّاس حيث قال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ (الأحزاب:67).

في هذه الآية يبيّن سبحانه قول الكافرين واعتذارهم عندما يدخلون إلى نار جهنّم ويذوقوا العذاب الأليم فيصف سبحانه حالهم، فيقول الكافرون حينئذٍ وهم في عذاب جهنم: يا ربنا إنا أطعنا في الشرك والكفر رؤساءنا وقادتنا وعلماءنا وخالفنا الرّسل واعتقدنا أنهم محقون فيما يقولون، فأخطؤوا بنا سواء الطّريق وأضلّونا عن طريق الهدى بما زيّنوا لنا من الكفر بالله ورسوله وعدم الإقرار بالوحدانية وإخلاص الطاعة لله تعالى، فطاعتنا لهم جعلتنا نعيش ضالّين ونموت كافرين ونحشر يوم القيامة مع المجرمين.

فهذه الشّكوى والاعتذار منهم تكون يوم لا تسمع شكوى ولا يقبل اعتذار وإنّما هي الحسرة على ما كان وأمنية ضائعة لا موضع لها ولا استجابة فقد فات الأوان [1].

ويقول أبو الطّيب القنّوجي[2]: "والتّعبير عنهم بعنوان السّيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلّا فهم في مقام التحقير والإهانة، وفي الآية زجرٌ شديدٌ عن التقليد، وكم في الكتاب العزيز من التّنبيه على هذا والتّحذير منه والتّنفير عنه، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدي به وينصف من نفسه لا لمن هو من جنس الأنعام في سوء الفهم ومزيد البلادة وشدة التعصب" [3].

ويقول ابن كثير: "إنا اتّبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرّسل واعتقدنا أن عندهم شيئًا وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء" [4].

---

(1)انظر: "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" – للثعلبي (65/8)، "النكت والعلوم" – للماوردي (426/4)، "لطائف الإشارات" للقشيري (171/3).

(2) هو محمد صديق خان بن حسين بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب من رجال النهضة الإسلامية المجددين، نشأ في القنوج بالهند، وتعلم في دهلي، له نيف وستون مصنفا بالعربية والفارسية والهندوسية، منها: حسن الأسوة فيما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، وتوفي سنة 1307هـ. (انظر: "الأعلام" – للزركلي (167/6)

(3)"فتح البيان في مقاصد القرآن" – (150/11).

(4)"تفسير القرآن العظيم" – (484/6).

هذا هو جزاء المتّبعين للسّادة والكبراء طاعة عمياء لا إعمال للفكر فيها، وإنّما يكون هذا الإنسان إمّعة لأفكار غيره، فكلّ إنسان له عقل يميّز به الصّحيح من السّقيم، فعند إبطال عمل هذا العقل واتّباع من يعتقد أنّ رأيهم الصّواب وإن خالف الصّواب فقد استحقّ العذاب الشّديد.

المطلب الثّامن: شراء الضّلالة ولهو الحديث.

هناك صنف من النّاس يريد إضلال غيره عن سبيل الله المستقيم، ولكنّه يتّجه اتّجاهًا آخر، وهو أن يتكلم بالنّاس بكلام كلّه ضلال وغواية، فكأنّه شيطان في صورة إنسان، فجزاء هذا الضّال المضل أن يضلّه تعالى عن صراطه المستقيم حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (النساء:44).

في هذه الآية يخاطب سبحانه النبي –ﷺ– ويقول له: ألم ينته علمك إلى حال هؤلاء الأحبار من اليهود الذّين أُعطوا حظًا ومقدارًا من علم التوراة، وإن كنت لم تعلم أحوالهم ولم تنظر إليهم فهاك خبرهم وتلك هي حقيقتهم، فهم الذّين أُعطوا جزءًا من التوراة وهي الكتاب الإلهي، ثم استبدلوا الضلالة بالهدى ويؤثرون الكفر على الإيمان، ويعرضون عمّا أنزل الله على رسوله، ويتركون ما بأيديهم من الأحكام كالكذب وإيذاء الناس وأكل الرّبا ومن العلم عن الأنبياء السابقين في صفة محمد –ﷺ– ليشتروا بما اصطنعوه من الطقوس والرسوم ثمنًا قليلًا من حطام الدّنيا ويريدون أن تضلّوا معهم الطّريق المستقيم فتكفرون بما أنزل عليكم أيّها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع.

فهم يشترون الضّلالة وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات الدالّة لهم على صحّة دين الإسلام وهم لا يكتفون بتلبّسهم بالضلال الذي أشربته نفوسهم، بل يريدون لكم يا معشر المسلمين أن تتركوا دين الإسلام الذي هو سبيل الحقّ وأن تتّبعوهم في ضلالهم وكفرهم [1].

"فالمقصود من الآية الكريمة تعجيب المؤمنين من سوء أحوال أولئك الأحبار وتحذير لهم من موالاتهم أو من الاستماع إلى أكاذيبهم وشبهاتهم " [2].

---

(1)انظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن" – للبغوي (640/1)، "الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية" – للشيخ علوان (154/1)، "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (181/2).

(2)"التفسير الوسيط" – لطنطاوي (169/3).

وقد وصف سبحانه أهل الكتاب بأنهم أوتوا نصيبًا من الكتاب ولم يؤتوا الكتاب كلّه لأنّهم نسوا حظًا كبيرًا ممّا ذُكِّروا به ولم يبق عندهم من علم الكتاب إلا القليل، وهذا القليل لم يعملوا به بل حرفوه وبدلوه وأخضعوا تفسيره لأهوائهم وشهواتهم.

وفي الآية تعجب من شأنهم لأنهم لا يطلبون الضّلالة بفتور أو تريّث، وإنّما يطلبونها بشراهة ونهم، ويدفعون فيها أغلى الأثمان وهو الهدى ولا يكتفون بذلك بل يبتغون من المؤمنين أن يكونوا مثلهم في الضّلال [1].

ومن الآيات التّي تبيّن جزاء هؤلاء الكافرين الضّالين عن سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان:6).

في هذه الآية بين سبحانه صنفًا من أولئك الذّين يُضِلُّون الناس عن طرق الحقّ ويقولُ أنّ من الناس فريقًا يشتري لهو الحديث ليُضِلَّ عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا أولئك لهم عذاب مهين، فهذا الفريق يستبدل بالنّافع الضّار، وبالقرآن الشّافي ما يُتَلهَّى به من الحكايات والأساطير وفضول الكلام والمضاحك والاستماع إلى غناء الجواري، كالنّضر بن الحارث الذي كان يشتري كتب الفرس ويُحدِّث بها الناس ويقتني المغنّيات لاجتذاب الشبّان وإغراء من أسلم حديثًا لحمله على تركه الإسلام وإضلاله عن دين الله وهو دين الإسلام والصّد عنه واتّخاذه هزوًا وسخرية جهلًا بخطورة ما يفعل من استبدال له بقراءة القرآن وأولئك هم الموغلون في الكفر والضلال، يحيق بهم عذاب بالغ الإهانة [2].

"وقوله تعالى ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ معناه لمخالفة الإسلام وأهله ومعاداتهم... أي ارتكب هذا الفعل من الإضلال والصّد عن سبيل الله... وقوله ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ للتفرقة بين عذاب الكافر وعذاب

(1)انظر: "روح البيان" – للإستانبولي (214/2)، "الصّحيح المصبور من التفسير بالمأثور" – لحكمت بن بشير بن ياسين (60/2).

(2)انظر: "جامع البيان" – للطبري (126/2)، "تفسير التستري" – للتستري (123/1)، "معاني القرآن" – للزجاج (194/4)، "بحر العلوم" – للسمرقندي (20/3).

المؤمن، فإن عذاب المؤمن للتطهير فهو غير مهين، أمّا عذاب الكافر فهو في غاية الإهانة فكما استهان بآيات الله وسبيله، أُهين يوم القيامة بالعذاب الدائم المستمر" [1].

بعد هذا نرى أنّ هذا المشتري للضّلالة بثمن بخس لا ثمرة سيجنيها من وراء ذلك كلّه إلا العقاب والذلّة في الدّنيا والآخرة.

المطلب التّاسع: اتّباع غير سبيل المؤمنين.

إنّ سبيل المؤمنين هو اتّباع لسبيل الله ورسوله، فهو سبيل قويم نهايته جنان وأنهار وخيرات، فعندما يحيد الإنسان عن سبيل المؤمنين ويتّبع سبيل غيره من الشّياطين والكافرين فقد ضلّ طريق الحقّ والهداية، وأوغل في طريق الضّلال والغواية، وقد حذّر تعالى من اتّباع غير سبيل المؤمنين في قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسول مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:115).

في هذه الآية يبين –ﷻ– سوء عاقبة الذّين يسيرون في طريق الباطل ويتركون طريق الحقّ فيحذّرهم من مخالفة الرّسول –ﷺ– ومعاداته من بعد ما اتضح له الحقّ وقام لديه الدّليل على صحة دين الإسلام.

وبعد هذا يتّبع طريقًا غير طريق الإسلام التّي سار بها المؤمنون واعتقدوا صحتها وسلامتها من كل سوء، فمن يفعل ذلك نجعله واليًا لما تولّاه من الضّلال ونُخلِ بينه وبين ما اختار لنفسه من الضلال في الدّنيا ونكِلُه في الآخرة إلى ما اتّكل عليه في الدّنيا وانتصر به من الأوثان وغيرها [2].

ويقول محمد رشيد رضا: "والذي أُريدُ توجيه الأذهان إلى فهمه هو أنّ هذه الجملة مُبيّنة لسنّة الله تعالى في عمل الإنسان ومقدار ما أُعطيه من الإرادة والاستقلال والعمل بالاختيار، فالوجهة التّي يتولّاها في حياته والغاية التّي يقصدها من عمله يولّيه الله إيّاها ويوجّهه إليها" [3].

---

(1)"التفسير المنير" – للزحيلي (132/21).

(2)انظر: "الدر المصون في علوم الكتابب المكنون" – للسمين الحلبي (91/4)، "تفسير القرآن العظيم" – لابن كثير (412/2).

(3)"تفسير المنار" – (339/5).

ولو شاء الله لهدى الناس أجمعين بخلقهم على حالة واحدة في الطاعة كالملائكة، ولكن شاء أن يخلقهم على ما نراهم عليه الآن من تفاوت في الاستعداد والإدراك وعمل كل فرد لحسب ما يرى أنّه خير له وأنفع في عاجله وآجله أو فيهما جميعًا.

وبعد ذلك يتوعّد سبحانه أولئك المخالفين لطريق الحقّ ممن يخالف هذا الطّريق فيولّه ما تولّى ويدخله في الآخرة جهنم ليُشوى فيها كما تُشوى الشّاة وساءت جهنّم مكانًا لمن صار إليها وحلَّ فيها.

وتدلُّ الآية على أن معاداة الرّسول -ﷺ- ومخالفته وترك الإسلام أو الردّة عنه ومخالفة طريق المسلمين تحجب عن مرتكبها عناية الله ورعايته وتجعله يتخبّط في دياجير الظّلام والضّلال وتجعله مقودًا بنفسه وهواه وتوجب له الدّخول في نار جهنّم وساءت مصيرًا يصير إليه هذا المنحرف، فيصير في حدّ غير حدّ الرّسول -ﷺ- وهو مباينته في الإعتقاد والديانة [1].

هذا هو جزاء المتّبعين لسبيل غير سبيل المؤمنين الهادين لسواء السّبيل، جزاؤهم جهنّم وساءت مصيرًا لهم ولأمثالهم.

المطلب العاشر: الزّنا ومقدّماته.

يعدُّ ارتكاب فاحشة الزّنى من الآثار الواضحة والدّالة على غواية هذا الإنسان وضلاله واتّباعه لطريق الشّيطان وابتعاده عن طريق الحقّ والصّلاح، فالشّيطان يدعو الإنسان إلى ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والله يدعو إلى الطّهارة والتّقوى، فأمر بالابتعاد عن كل ما يؤدّي إلى الزّنى وذلك في قوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:32).

في هذه الآية الكريمة ينهى -ﷻ- عن قرب الزّنى للمبالغة في الزّجر عنها، لأنّ قربانها يؤدّي إلى الوقوع فيها، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وهذا لون حكيم من ألوان إصلاح النفوس لأنّه إذا حصل النهي عن القرب من الشيء فلا بدّ أن ينهى عن فعله من باب أولى.

---

(1)انظر: "اللباب في علوم الكتاب" – لابي حفص النعماني (17/7)، "روح البيان" – للإستانبولي (284/2)، "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (311/3).

والمعنى: كونوا أيّها المسلمون بعيدين عن كل المقدمات التّي تُفضي إلى فاحشة الزّنى كمخالطة النساء والخلوة بهن والنظر إليهن وغيرها، فإن ذلك يفتح الطّريق إلى الوقوع فيها [1].

ويقول طنطاوي: "إنّ كل منهي عنه من شأنه أن تميل النفوس إليه وتدفع إليه الأهواء، جاء النهي فيه عن القربان ويكون القصد التحذير من أن يأخذ ذلك الميل في النفس مكانًا تصل بها إلى اقتراف المحرّم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (الإسراء:34)، أما المحرّمات التّي لم يؤلف ميل النفوس إليها ولا اقتضاء الشّهوات لها فإن الغالب فيها أن يتعلق النهي عنها بنفس الفعل لا بالقربان منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء:31)، فهذه وإن كانت فواحش إلا أنّها ليست ذات دوافع نفسية يميل إليها الإنسان بشهوته، بل هي في نظر العاقل على المقابل من ذلك يجد الإنسان في نفسه مرارة ارتكابها ولا يقدم عليها إلا وهو كاره لها أو في حكم الكاره" [2].

فالله –ﷻ– ينهى عن الاقتراب من مقدمات الزنى فضلًا عن الوقوع فيه ذاته لأنّه كان وما زال في شرع الله وفي نظر كل عقل سليم فعله فاحشة ظاهرة القبح وبئس الطّريق طريقه فإنها طريقٌ تؤدي إلى غضب الله وسخطه.

ومما لا شكّ فيه أن فاحشة الزّنى من أقبح الفواحش التّي تؤدي إلى شيوع الفساد والأمراض الخبيثة في الأفراد والمجتمعات وما وجدت في أمة إلا وكانت عاقبتها خسرًا [3].

ولقد سدّ الإسلام جميع المنافذ التّي تؤدّي إلى إرتكاب هذه الفاحشة وسلك لذلك وسائل من أهمها:

1. تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية ومنع الاختلاط بين الرّجال والنّساء إلا في حدود الضّرورة الشّرعيّة، فعن ابن عبّاس –ﷺ– أنّ رسول الله –ﷺ– قال: "**لا يخلُونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**"[4]، وعن عقبة بن عامر أن رسول الله–ﷺ– قال :" **إياكم والدخول على النساء** "

(1)انظر: "تأويلات أهل السنة " للماتريدي (39/7)،"لباب التأويل في معاني التنزيل " للخازن (129/3).
(2)"التفسير الوسيط" – (340/8).
(3)انظر:"الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (253/10)،"التفسير المنير " للزحيلي (70/15)
(4)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بإمرأة إلا مع ذي محرم (رقم 5232)، (37/7).

فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو، قال : "**الحمو الموت**"[(1)] (وهو قريب الزوج كأخيه وابن عمه).

2. تحريم النّظر إلى المرأة الأجنبيّة ووجوب غضّ البصر، لقوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ (النور:30)، وقال: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...** ﴾ (النور:31)، وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: "**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزّنى مدرك ذلك لا محالة:العينان زناهما النّظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام والقلب يهوى ويتمنّى ويصدّق ذلك الفرج أو يكذّبه**"[(2)].

3. وجوب التّستّر والاحتشام للمرأة فإن التّبرج والسّفور يغرى الرجال بالنساء، ويحرك الغريزة الجنسية بينهما، قال تعالى: ﴿**يا أيها النّبيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ..**﴾ (الأحزاب:59) [(3)].

4. الحضّ على الزواج، وتيسير وسائله، والبعد عن التّغالى في نفقاته، وتخفيف مؤنه وتكاليفه، فقد قال تعالى:﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(32) وَلْيَسْتَعْفِفِ الذِّين لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حتّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...** ﴾ (النور: 33,32)، فإنّ الزواج من شأنه أن يحصّن الإنسان، ويجعله يقضى شهوته في الحلال، فإذا لم يستطع الشاب الزواج، فعليه بالصوم فإنه له وقاية، فعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله -ﷺ-: "**يا معشر الشّباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء**"[(4)].

---

(1)التخريج السابق ص167.

(2)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإستئذان باب زنا الجوارح دون الفرج (رقم 6243)، (54/8)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (رقم 2657)، (2046/4).

(3)انظر:"التحرير والتّنوير" – لابن عاشور (89/15)

(4)أخرجه البخاري في النكاح باب قول النّبي -ﷺ- :"من استطاع الباءة فليتزوج":(106/6)، ومسلم في النّكاح، باب استحباب النكاح لمن راقت نفسه رقم 1400.

5. إقامة حدود الله بحزم وشدة على الزناة سواء أكانوا من الرجال أم من النساء، كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ. وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور:2)، ومما لا شكّ أنّه لو تم تنفيذ حدود الله تعالى على الزّناة، لمحقت هذه الفاحشة محقًا، لأنّ الشخص إن لم يتركها خوفا من ربّه- ﷻ- لتركها خوفًا من تلك العقوبة الرّادعة، ومن فضيحته على رؤوس الأشهاد، فقد ورد أنّ رسول الله -ﷺ- قضى في زانٍ لم يتزوّج وزانية متزوّجة بقوله لوالد الرّجل: "**على ابنك مائة جلدة وتغريب عام**" ثمّ قال -ﷺ- لأحد أصحابه واسمه أنيس "**أغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإذا اعترفت فارجمها**" فاعترفت فرجمها [1].

هذه بعض وسائل الوقاية من تلك الفاحشة القبيحة، ولو اتبعها المسلمون، لطهرت أمّتهم من رجسها، ولحفظت في دينها ودنياها [2].

بعد هذا نرى كيف حرص الإسلام على شرف الإنسان وطهارته، فأمر الله عباده المؤمنين بتقواه لأنّ من يتّق الله يقيه من مكائد الشّيطان، ولكنّ اتّباع طريق الشّيطان هو سبب لغضب الله وبالتالي وقوعه في المعاصي التّي سيحاسبه عليها ربنا سبحانه أشد الحساب.

المطلب الحادي عشر: كراهية الجهاد بالمال والنفس.

إنّ المال غالٍ وثمين، النّفس غالية، والإنسان يحرص على نفسه وماله أشدّ الحرص ويحافظ عليهما أشدّ الحفاظ، ولكن كلّ شيء في سبيل الله يرخص، فالمال والنّفس ترخصان في سبيل الله تعالى لكي ينال الإنسان رضى ربّه وجنّاته، ولكنّ من النّاس من يبخل بنفسه وماله في الجهاد في سبيل الله ولا يحرص عليه وعلى مساندة المجاهدين كما يحرص على نفسه وماله، فهؤلاء النّاس يكونون قد ضلّوا طريق الصّواب وحادوا عنه، وقد توعّد تعالى هؤلاء الكارهين للجهاد بأموالهم وأنفسهم في قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

(1)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى (رقم 1697) (1325/3).
(2)انظر: "التفسير الوسيط" – لطنطاوي (342/8).

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة:24).

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى رسوله محمدًا –ﷺ– أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله –ﷺ– والجهاد في سبيله، فقال له: قل إن كنتم تؤثرون هذه الأشياء الثمانية وتفضّلون الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن على حبِّ الله ورسوله –ﷺ–وطاعتهما والجهاد في سبيله الذي يحقّقُ السّعادة الابدّيّة في الآخرة فانتظروا حتّى يأتي الله بعقابه العاجل أو الآجل.

وفي هذه الآية رتّب سبحانه بدءًا بالأشدّ تعلقًا والأدعى إلى المخالطة وهو القرابة، ثمّ الحرص على المال، ثم طريق اكتسابه بالتّجارة، ثم الرّغبة بالبناء في الأوطان والدور المخصّصة للسُّكنى، ولكنّ الله تعالى أبان أنّ رعاية الدّين خيرٌ من رعاية جملة هذه الأمور [1].

"وحبّ المال المكتسب قويٌّ عند الإنسان لأنه ثمرة عنائه وجهده وكذلك حبُّ التّجارة أصيلٌ في النّفس البشرية لأنّه مصدر التّمويل، لذا يحرص الشخص على تنمية تجارته لتنموَ موارده وتكثر أرباحه فيستفيد منها..... وبالرُّغم من مظاهر الحبّ وحقائقه لهذه الأنواع الثمانية أمر الله تعالى بإيثار حبِّ الله والرّسول –ﷺ– وطاعتهما والجهاد في سبيله على هذه الأشياء؛ لأنّ الله تعالى مصدر جميع النّعم وملجأ لدفع كل الكروب والمحن، لذا وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ (البقرة:165)" [2].

وكذلك حبُّ الرّسول –ﷺ– واجبٌ بعد محبّة الله؛ لأنّه صاحب الفضل في إنقاذنا من الضّلالة إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان؛ ولأنّه القدوة الحسنة والمثل الأعلى للمؤمنين في تطبيق الشّريعة والأخلاق، وأما الجهاد وإن كان مكروهًا لدى بعض النّاس ولكنّه يهدي السّبيل للحفاظ على كرامة الأمة ومنعة البلاد واستقلالها ومصالح الأفراد والسّبب للذّود عن الحرمات والأموال والأعراض، وطريقٌ لدفع العدوان وقمع الأطماع، وأساسٌ لتوفير عزّة الأمّة ومجدها، وبدونه تكون المصالح العامّة والخاصّة مهدّدة بالزّوال، لذا فرضه تعالى للضّرورة من أجل الحفاظ على هذه المقاصد، ولمنع الفتنة

(1)انظر: "الجامع لأحكام القرآن" – للقرطبي – (95/8).

(2)"التفسير المنير" – للزحيلي (153/10).

في الدّين ولحماية المستضعفين والتمكين لحرية انتشار الإسلام بالطرق السّليمة، وكانت محبته أمرًا مطلوبًا لحياة المسلمين، ثم ختم الله تعالى الآية بوعيد المخالفين وتهديد المعرضين بعقوبة عاجلة أو آجلة فقال: ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ : أي انتظروا العقاب الآتي عاجلًا أم آجلًا [1].

وقال الزمخشري: " وهذه آية شديدة لا ترى أشدّ منها كأنّها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدّين واضطراب حبل اليقين" [2].

وثم قال تعالى: ﴿ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ :أي لا يرشد العصاة الخارجين عن حدود الدّين ومقتضى العقل والحكمة والخارجين عن طاعة الله إلى معصيته.

ومن الآيات التّي تبيّن أن مصير الكارهين للجهاد بالمال والنّفس في سبيل الله هو نار جهنّم قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة:81).

في هذه الآية الكريمة يذمُّ –ﷻ– المنافقين المتخلّفين عن القتال في غزوة تبوك وإخبارهم عن مصيرهم السيّء في الآخرة، فهؤلاء المنافقون فرحوا في المدينة بقعودهم في بيوتهم بعد أن تركوا رسول الله –ﷺ– عند خروجه إلى غزوة تبوك، وسبب فرحهم عدم إيمانهم بأن في الجهاد خيرًا وكراهيتهم الجهاد مع النبي –ﷺ– بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والفرح بالإقامة يدلُّ على كراهة الذّهاب، إلّا أنّه تعالى أعاده للتأكيد، فهم فرحوا بسبب التخلّف وكرهوا الذّهاب للجهاد، ولم يقتصر الأمر على فرحهم بأنفسهم بل أغروا غيرهم بعدم الخروج وقال بعضهم لبعض: لا تخرجوا للجهاد لأنّ غزوة تبوك في شدّة الحرّ وقد طابت الثّمار والظّلال، فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التّي أُعدّت للعصاة والتي تصيرون إليها بمخالفتكم ﴿ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ ممّا فررتم منه من الحرّ، فلو كانوا يعقلون ذلك ويعتبرون به لما خالفوا وقعدوا ولما فرحوا بل حزنوا [3].

---

(1)انظر: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" – للسمين الحلبي (33/6)، "روح البيان" – للإسستانبولي (403/3).

(2)"الكشاف" – (33/2).

(3)انظر: "بحر العلوم" – للسمرقندي (78/2)، "محاسن التأويل" – للقاسمي (466/5)، "تفسير المراغي" – للمراغي (173/10).

"فهؤلاء الذّين أدركتهم ثقلة الأرض، ثقلة الحرص على الراحة والشحّ بالنفقة وقعد بهم ضعف الهمّة وهزال النّخوة وخواء القلب من الإيمان، هؤلاء المتخلفون... فرحوا بالسّلامة والرّاحة وتركوا المجاهدين يلاقون الحرّ والجهد وحسبوا أنّ السلامة غاية يحرص عليها الرّجال... إنّ هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة وطراوة الإرادة وكثيرون هم الذّين يشفقون من المتاعب وينفرون من الجهاد ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ويفضلون السّلامة الذّليلة على الخطر العزيز" [1].

حقًّا إنّ الكارهين للجهاد بأموالهم وأنفسهم لهم شرُّ النّاس ويستحقّون العقاب الشّديد على هذا الفعل الشّنيع، فبالجهاد عزّة الأمّة وكرامتها وقوّتها، ولا تكون الأمّة كذلك إلا عندما يكون النّاس على قلب رجل واحد في الجهاد وذود العدوّ عن الأوطان، وقد ذكر تعالى هؤلاء النّاس لوجودهم في كلّ الأزمان، فهم منتشرون في كلّ مكان، وتكون بهم الذّلّة والخذلان، فذكرهم للتّحذير من السّير على خطاهم فنستحقّ عقابًا كعقابهم.

المطلب الثّاني عشر: ظلم النّاس.

يعدُّ ظلم النّاس من الأمور التّي حذّر الإسلام منها وأكثر من ذكرها، فبالظّلم ينتشر الفساد، وتضيع الحقّوق ويكثر القتل بغير الحقّ، وقد توعّد تعالى الظالمين بأشدّ العذاب في الدّنيا والآخرة، وذلك في قوله:﴿ **إِنّما السّبيل عَلَى الذّين يَظْلِمُونَ النّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأرض بِغَيْرِ الحقّ أُوْلَئِكَ لَهم عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (الشورى:42).

في هذه الآية يبيّن –ﷻ– أنّ العقاب يقع على الذّين يظلمون غيرهم من النّاس ويتكبّرون ويتجاوزون حدودهم في الأرض بغير الحقّ، وقيّد سبحانه البغي في الأرض بكونه بغير حق لبيان أنّه لا يكون إلا كذلك، فهؤلاء الذّين من صفاتهم الظّلم والبغي لهم عذاب أليم بسبب ما اجترحوه من ظلم وبغي.

وهؤلاء الذّين يظلمون الناس ويبغون فيها بغير الحقّ هم الذّين يجب الوقوف في طريقهم، فإنّ الأرض لا تصلح وفيها ظالم لا يقف له الناس ليكفّوه ويمنعوه من ظلمه، وفيها باغٍ لا يجدُ من يقاومه

(1)"في ظلال القرآن" – لسيد قطب (1682/3).

ويقتصّ منه، فالله سبحانه يتوعّد الظالم الباغي بالعذاب الأليم ولكن على النّاس كذلك أن يقفوا له ويأخذوا عليه الطّريق [1].

وكذلك ورد التّحذير الشّديد من النّبي -ﷺ- في النّهي عن الظّلم، فقد روى جابر بن عبدالله عن النّبي -ﷺ- أنّه قال: " **اتّقوا الظّلم فإنّ الظّلم ظلمات يوم القيامة**" [2].

بعد هذا نرى أنّ الظالم جزاؤه عذاب شديد يوم القيامة، وقد استحقّ هذا العقاب والعذاب جزاء أعماله الفاسدة الضّالّة، فيكون بظلمه قد ظلم نفسه في جعل مصيرها إلى النّار، ويكون قد ظلم النّاس بأفعاله المذمومة فاستحق على هذا كله عقابًا شديدًا أليمًا مخلّدًا فيه.

(1)انظر: "روح المعاني" – للألوسي (48/13)، "البحر المديد" – لابن عجيبة (224/5)، "التفسير القرآني للقرآن" – لعبد الكريم يونس الخطيب (79/13).

(2)أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (رقم 2578)، (ص1000).

المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: اتّباع الرّسل.

المطلب الثّاني: حسن التوكل على الله.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

المبحث الثّاني: أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ

تتعدَّدُ أسباب الهداية إلى السّبيل الحقّ لتشمل اتّباع الرّسل وحسن التّوكّل على الله وحسن الجهاد في سبيله، والتّي ستتناولها الباحثة بالتّفصيل خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: اتّباع الرّسل.

يعدُّ اتّباع الرّسل وما جاؤوا به من عند الله –ﷻ– من أهمّ الأمور التّي يجب على العبد المؤمن أن يتّبعها، فاتّباع الرّسل هو اتّباع للطريق الحقّ، الطّريق المستقيم الهادي إلى صراط الله المقيم، ومن الآيات التّي تحثّ على اتّباع الرّسل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ (المائدة:12).

في هذه الآية الكريمة يبيّن تعالى نصّ الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل، والنص القرآني يثبت نص الميثاق وشرطه وجزاءه، فقد كان عقدًا مع نقباء بني إسرائيل الإثني عشر الذي يمثّلون فروع بيت يعقوب –وهو إسرائيل– –عليه السلام–، فيذكر تعالى أنّه معهم، فمن كان الله معه فلا شيء إذًا ضدّه ومهما يكن ضده من شيء فهو هباء لا وجود له ولا أثر، ومن كان الله معه فلن يضلَّ طريقه، فإنّ معيّة الله سبحانه تهديه كما أنّها تكفيه، ولكنّ معية الله هي عقد فيه شرط وجزاء، وشرطه إقامة الصّلاة على أصولها التّي تجعل منها صلة حقيقية بين العبد وربّه وإيتاء الزكاة اعترافًا بنعمة الله في الرّزق وملكيته ابتداءً بالمال وطاعة له في التّصرف في هذا المال، والإيمان برسل الله كلّهم دون تفرقة بينهم، فكلهم جاء من عند الله وكلّهم جاء بدين الله، وعدم الإيمان بواحد منهم كفرٌ بهم جميعًا وكفرٌ بالله الذي بعث بهم جميعًا، وليس هو مجرّد الإيمان إنّما هو العمل في نصرة هؤلاء الرّسل وشدّ أزرهم فيما بعثوا من أجله، فالله –ﷻ– أخذ عليهم الميثاق بالثّبات على دين الحقّ والقيام بالواجبات المفروضة عليهم وتصديق الرّسل الذّين يأتونهم بالهدى من قبل الله وتأييدهم [1].

(1)انظر: "بحر العلوم" – للسمرقندي (375/1)، "تفسير القرآن العزيز" – لابن أبي زمنين (105/2)، " المحرر الزجيز في تفسير الكتاب العزيز" – لابن عطية (167/2).

"فالإيمان بدين الله من مقتضاه أن ينهض المؤمن لينصر ما آمن به وليقيمه في الأرض وليحقّقه في حياة الناس، فدين الله ليس مجرّد تصور اعتقادي، ولا مجرّد شعائر تعبد لله، إنّما هو منهج واقعي للحياة ونظام محدد ليصرف شئون هذه الحياة، والمنهج والنظام في حاجة إلى نصرة وتعزيز وإلى جهد وجهاد لتحقيقه ولحمايته بعد تحقيقه" [1].

فالواجب تعظيم الرّسول –ﷺ– ونصرته في أمّته ودينه واتّباع ما جاء به من عند الله، فمن فعل هذا فجزاؤه أن يغفر الله له ذنوبه ويدخله في الآخرة جنّاتٍ تجري من تحت أشجارها وبساتينها الأنهار.

ويقول الإمام الرازي: "وأخّر سبحانه الإيمان بالرّسل عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع أنّه مقدم عليهما، لأن اليهود كانوا مُقرّين بأنّه لا بدّ في حصول النّجاة من الصّلاة وإيتاء الزكاة؛ لأنهم كانوا مصرّين على تكذيب بعض الرّسل، فذكر بعد إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنّه لا بدّ من الإيمان بجميع الرّسل حتّى يحصل المقصود، وإلا لم يكن لإقامة الصّلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النّجاة بدون الإيمان بجميع الرّسل" [2].

وأما من جحد شيئًا ممّا أمره الله به فتركه وأعرض عن التكاليف التّي كلّفه بها بعد أن عرفها فقد بعد عن السّبيل المستوية وأخطأ الطّريق الواحد المستقيم، ففي الآية تهديد لمن خالف الرّسل ولم يتّبعهم ويتّبع ما جاؤوا به من عند الله.

بعد هذا يتبيّن أنّه عند اتّباع العبد لطريق الرّسل والسير على منهجم واتّباع طريقهم يكون بذلك قد نال السّعادة في الدّنيا والآخرة، فالسعادة الدنيوية لا تنال إلا عندما ينال الإنسان الراحة النفسية والجسدية، ولا يكون ذلك إلا باتّباع طريق الرّسل عليهم السّلام الطّريق الصّحيح، والسّعادة الأخروية، وهي ما يترتّب على اتّباع الرّسل ونصرتهم من الجنان والرضوان.

المطلب الثّاني: حسن التّوكل على الله.

يعدُّ التّوكّل على الله في كلّ الأمور من صفات المؤمنين الموحّدين لله والمتّبعين لأمره، فقد أمر الله المؤمنين بالتّوكّل عليه لأنه من الأسباب المؤدّية إلى الهداية إلى السّبيل المستقيم، وقد ذكر

---

(1)"في ظلال القرآن" – لسيد قطب (858/2).

(2)"مفاتح الغيب" – (185/11).

تعالى المتوكّلين عليه ومدحهم في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم:12).

في هذه الآية الكريمة يذكر تعالى قول الأنبياء لأقوامهم وتأكيدهم على إعتمادهم على الله فقالوا: وكيف لا نتوكل على الله الذي هدانا إلى سبيل المعرفة وأرشدنا إلى طريق النّجاة، وما يمنعنا من التوكل عليه وقد هدانا لأقوم الطّرق وأوضحها وأبينها، ولنصبرنّ على إيذائكم لنا بالكلام السيّء والأفعال السخيفة.

ثم بعد ذلك مدحوا المتوكلين وقالوا فليستمرّ وليثبت المتوكّلون من المؤمنين على توكّلهم على الله وليثقوا به وليتحمّلوا كل أذىً في سبيله ولا يبالوا بشيء صعب مهما كان [1].

فقد دلّت الآية أنّه لا سبيل أمام الأنبياء إلا الصّبر على الأذى والاعتصام بالله وتفويض الأمر إليه والتوكّل التّامّ عليه، فإنّ الصّبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات، والتوكل على الله والاعتماد على فضله محقّق للنصر والفتوح، فالأنبياء –عليهم السّلام– بعد أن أمروا أنفسهم بالتّوكّل على الله أمروا اتّباعهم بذلك وقالوا: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وهو يدلّ على أنّ الآمر بالخير يجب أن يكون قدوة في فعل الخير ليُصدِّقَ قوله عمله فيكون قدوة لغيره [2].

"وعلى الله وحده دون أحد سواه فليتوكّل المؤمنون الصادقون دون أن يعبؤوا بعنادكم ولجاجكم... فالآية أمرٌ من الرّسول لمن آمن من قومهم للتوكّل على الله وحده... وتدلّ على اطمئنانهم إلى سلامة مواقفهم في تفويض أمورهم إلى الله وإلى رعاية الله تعالى حيث هداهم إلى طريق النّجاة والسّعادة" [3].

فالله سبحانه قد هدانا لأقوم الطّرق وأوضحها وأبينها وهي طريق إخلاص العبادة له والاعتماد عليه وحده في كل شئوننا، فعليه وحده دون أحد سواه فليثبّت المتوكلون على توكلهم ليفوضوا أمورهم إلى خالقهم فهو القاهر فوق عباده وهو الذي لا يعجزه شيء.

---

(1)انظر: "بيان المعاني" – لعبد القادر العاني (276/4).

(2)انظر: "أوضح التفاسير" – لمحمد الخطيب (306/1)، "الموسوعة القرآنية" – لإبراهيم الأبياري (164/10).

(3)"التفسير الوسيط" – لطنطاوي (532/7).

حقًّا إن المتوكّل على الله يستحقّ أن ينال رضاه وجنانه وكلّ ما فيها من نعيم مقيم، فالتّوكّل ثماره يانعة سواء في الدّنيا أو في الآخرة، فبالدّنيا ينال راحة النّفس والرّزق الحسن، وفي الآخرة جنّة الله ورضوانه، ويا له من جزاء يستحقّه المؤمن على إيمانه وتوكّله.

المطلب الثّالث: الجهاد في سبيل الله.

لقد ربّى الإسلام أبنائه على منهج القرآن العظيم فكرًا وأسلوبًا وعلى سيرة النّبي -ﷺ- تضحية وجهادًا وحبًّا للشّهادة، فخرج من أبنائنا مجاهدون أبطال يحبّون الموت ويعشقون الشّهادة ويستشعرون معنى ولذّة الموت في سبيل الله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (المائدة:35).

في هذه الآية الكريمة يأمر تعالى عباده المؤمنين بأن يتّقوا سخطه وعقابه وذلك بامتثال أمره واجتناب نهيه، وأن يطلبوا إليه القربى التّي ينبغي أن يُطلب بها، فهي التّي توصلهم إلى مرضاته والقرب منه والظّفر بمثوبته في الجنّة.

ولمّا أمر تعالى المؤمنين بترك المحارم وفعل الطّاعات أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطّريق المستقيم والتّاركين للدين القويم، فالجهاد في سبيل الله يشمل جهاد النّفس لكفّها عن أهوائها وحملها على العدل في جميع أحوالها، وجهاد الأعداء الذّين يقاومون دعوة الإسلام، ورغبّهم الله تعالى بما أعده للمجاهدين في سبيله يوم القيامة من الفلاح بالسّعادة العظيمة الخالدة فقال: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ إن جاهدتم وتقربتم إلى الله بطاعته حققتم الفوز والفلاح وسعادة الدّنيا والآخرة [1].

ومن الآيات التّي تبين أنّ الجهاد في سبيل الله يسبب المغفرة والرّزق الكريم قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ (الأنفال:74).

(1)انظر: "البحر المحيط في التفسير" – لأبي الحيان الأندلسي (224/4)، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" – للسمين الحلبي (252/4)، "اللباب في علوم الكتاب" – للنعماني (312/7).

في هذه الآية يثني الله تعالى على المهاجرين والأنصار المجاهدين في سبيله من ثلاثة أوجه :

أولها: أنّهم هم المؤمنون حقًّا، فهم محقّون في طريق الدّين، وقد كانوا كذلك لأنّ من لم يكن محقًا في دينه لم يتحمل ترك الأديان السالفة ولم يفارق الأهل والوطن ولم يبذل المال والنفس.

وثانيها: أنّ لهم مغفرة تامة كاملة.

وثالثها: أنّ لهم رزقٌ كريمٌ وثوابٌ رفيعٌ [1].

والحاصل أنّه سبحانه شرح أحوالهم في الدّنيا والآخرة، أمّا في الدّنيا فقد وصفهم بأنّهم مؤمنون حقًا، وأمّا في الآخرة فالمقصود إمّا دفع العقاب وإمّا جلب الثّواب، فدفع العقاب يكون بالمغفرة وجلب الثواب يكون بالرزق، فهذا هو جزاء المؤمنين المجاهدين في سبيل الله مغفرة وثواب وجنان [2].

ومن الآيات التّي تبين أن المجاهدين في سبيل الله لهم أعظم الدرجات عند الله قوله تعالى : ﴿الذّين آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة:20).

يبيّن تعالى في هذه الآية أنّ المؤمنين بالله ورسوله –ﷺ– المهاجرين من مكة إلى المدينة، المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمة الله هم أعظم درجة وأرفع مقامًا ومكانة من القائمين بأعمال أخرى، وأولئك المؤمنون المهاجرون المجاهدون هم الفائزون بفضل الله وكرامته ومثوبته، وهذا الفوز هو أنّه تعالى يبشّرهم في كتابه المنزّل على رسوله –ﷺ– برحمة واسعة ورضوان كامل وجنّات لهم فيها نعيم دائم، وهم في هذا النّعيم خالدون على الدّوام إلى ما شاء الله تعالى.

فالجهاد في سبيل الله يوصل إلى طريق السعادة والرّحمة وهو سبيل الفوز بالدّرجات العالية [3].

---

(1)انظر: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" – للبقاعي (347/8).

(2)انظر: "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" – لأبي السعود (38/4)، "روح البيان" – للإستانبولي (379/3).

(3)انظر: "البحر المديد" – لابن عجيبة (366/2)، "روح البيان" – للألوسي (362/5)، "فتح البيان في مقاصد القرآن" – لأبي الطيب القنوجي (257/5).

ومن الآيات التّي توضح أن طريق الجهاد في سبيل الله خير للمؤمنين المجاهدين قوله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة:41).

يأمر تعالى في هذه الآية بالنّفير العام مع رسول الله –ﷺ– لقتال أعداء الله من الرّوم الكفرة من أهل الكتاب وحتّم على المؤمنين في الخروج معه على كل حال في المنشط والمكره والعسر واليسر، وجهاد أعدائكم الذّين يقاتلونكم بالنفس والمال إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال، فمن قدر على الجهاد بنفسه وماله وجب عليه ذلك، ومن قدر على الجهاد بالنّفس فقط أو بالمال فقط وجب عليه، فذلكم المأمور من النفير والجهاد خير لكم في الدّنيا والآخرة لأنّ العزة خير من الذّلّة وفيه إرضاء الله، وإرضاء الله خير كله ولأنّه الرّفعة ولأنّه الكرامة، والكرامة خير من المهانة، فالموت في عِزّة خير من الحياة في ذِلّة، والموت مع كرامة الجهاد خير من الحياة مع ذلّة الكفر والاستسلام والمهانة[1].

هذا هو الجهاد في سبيل الله تعالى الذي فيه عزّة الإسلام وأهله، وفيه حفظ لكرامة الأمّة وصونًا لها من الدّخلاء عليها، فعلى المسلمين التّمسّك بطريق الجهاد ودعم المجاهدين إن استطاعوا، فبذلك ننال رضى الله وثوابه.

(1)انظر: "فتح القدير" – للشوكاني (413/2)، "زهرة التفاسير" – لأبي زهرة (3213/6)، "بيان المعاني" – لعبد القادر العاني (437/6)، "أوضح التفاسير" – لمحمد الخطيب (229/1).